تَعظِيمُ اللهُ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

تعظيم الله من خلال تدبر القرآن:
توجيهات لغير الناطقين بالعربية

اسم الباحث

د/ فضلان محمد عثمان

د. فضلان بن محمّد عثمان

تعظيم الله تعالى من خلال تدبر القرآن

توجيهات للناطقين بغير العربية

الملخص

إنَّ القرآن الكريم وحي الله إلى خلقه، متضمنًا لما ينفعهم في الدَّارين.

وكان لِزامًا للأُمَّة الإسلامية عربهم وعجمهم أن تتعامل مع هذا الكتاب العظيم بحزم وجدّية. وقد رسم الله لنا طرق التَّعامل مع القرآن الكريم في ثنايا كتابه وفي أحاديث رسوله ﷺ؛ وكان من أهمِّها التَّدبُّر المنتج لتعظيم الله. وعلماء الإسلام لم يألوا جهدًا في بيان هذه الطرق في مؤلفاتهم النَّافعة. فتهدف هذه المقالة إلى التَّعرف على حالة الطلاب في الجامعات من حيثُ التَّعامل مع كتاب الله؛ بما فيه التَّفهُّم والتَّدبُّر. كما تهدف إلى إيضاح طرق التَّعامل الصَّحيحة مع القرآن الكريم عمومًا. وتبين المقالة أهمية التَّدبُّر ووظيفته في تحقيق تعظيم الله في النُّفوس. ثمّ ترسم المقالة خطوات التَّدبُّر للنَّاطقين بغير العربية.

الكلمات المفتاحية: تعظيم الله، تدبر القرآن، الناطقين بغير اللغة العربية، طرق التعامل مع القرآن.

المقدمة

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين،،

أمَّا بعد؛ فإنَّ الله تعالى يقول في محكم التنزيل: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾[الفرقان].

وقد بيَّن الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ وجوه الهجر بقوله: «يقول تعالى مخبراً عن رسوله ونبيِّه محمَّد -صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدِّين- أنَّه قال: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾، وذلك؛ أنَّ المشركين كانوا لا يُصغُون للقرآن ولا يسمعونه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فُصِّلَت]، وكانوا إذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللَّغط والكلام في غيره، حتى لا يسمعوه، فهذا من هجرانه. وترك علمه وحفظه أيضًا من هجرانه، وترك الإيمان به وتصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدولُ عنه إلى غيره -من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره -من هجرانه، فنسأل الله الكريمَ المنانَ القادرَ على ما يشاء، أن يخلّصنا ممّا يُسْخطه، ويستعملنا فيما يرضيه، من حفظ كتابه وفهمه، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطرافَ النهار، على الوجه الذي يحبُّه ويرضاه، إنَّه كريم وهاب»[1].

ومن خلال كلام الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، نستطيع أن نلخص وجوه هجران القرآن كالآتي:

١- عدم الإصغاء للقرآن وترك سماعه؛ بل الإكثار من اللغط والكلام في غيره عند من يتلوه.

٢- ترك علمه وحفظه.

٣- ترك الإيمان به وتصديقه.

٤- ترك تدبره وتفهمه.

٥- ترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره.

٦- العدولُ عنه إلى غيره؛ من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٠٨).

ثمّ أردف الإمام ابن كثير صورًا من التَّعامل المرضي للقرآن، وهي:

١- حفظه.

٢- فهمه.

٣- القيام بمقتضاه آناء الليل وأطرافَ النهار على الوجه المطلوب.

أهداف المقالة

تهدف هذه المقالة إلى كل من الأمور الأربعة الآتية:

١- التعرف على حالة الطلاب في الجامعات من حيث التعامل مع كتاب الله.

٢- إيضاح طرق التعامل الصحيحة مع القرآن الكريم عموما.

٣- بيان أهمية التدبر ووظيفته في تحقيق تعظيم الله في النفوس.

٤- رسم خطوات التدبر لغير الناطقين باللغة العربية.

منهج الكتابة

تعتمد هذه المقالة على الاستبيان العشوائي والمنهج الاستقرائي في جمع المعلومات، ومن ثم تعتمد على المنهج الوصفي في بيان كل من الأهداف الأربعة.

إنَّ معاني القرآن الكريم يشتمل على أربعة أوجه كما قال الصَّحابى الجليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره»(١).

فكان لِزامًا على الناطقين بغير اللغة العربية من الأُمَّة الإسلامية أن يجتهدوا في دراسة اللغة العربية لكى يستفيدوا من كلام ربهم جلّ في علاه. وإن تعذّر عليهم ذلك فعليهم أن يستعينوا بترجمة كلام الله تعالى إلى اللغة التي يفهمونها لكي تتمّ الاستفادة منه.

وقال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأنّ منه ما يعلم تأويله كلُّ ذي علم باللِّسان الذي نزل به القرآن. وذلك: إقامة إعرابه، ومعرفة المُسمَّيات بأسمائها اللَّازمة غير المشترك فيها، والموصوفات بصفاتها الخاصَّة دون ما سواها، فإنَّ ذلك لا يجهله أحدٌ منهم. وذلك كسامع منهم لو سمع تاليا يتلو: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾[البقرة]، لم يجهل أنَّ معنى الإفساد هو ما ينبغى تركه ممَّا هو مضرَّة، وأنَّ الإصلاح هو ما ينبغى فعله ممَّا فعله منفعة، وإن جهل المعاني التى جعلها الله إفسادًا، والمعاني التى جعلها الله إصلاحًا. فالذي يعلمه ذو اللِّسان -الذي بلسانه نزل القرآن- من تأويل القرآن، هو ما وصفت: من معرفة أعيان المُسمَّيات بأسمائها اللَّازمة غير المشترك فيها، والموصوفات بصفاتها الخاصَّة، دون الواجب من أحكامها وصفاتها وهيآتها التي خصَّ الله بعلمها نبيَّه ﷺ، فلا يدرك علمه إلَّا ببيانه، دون ما استأثر الله بعلمه دون خلقه»(٢).

ثمّ بيَّن الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ بأن الله تعالى أمرنا بأخذ العبرة وبتدبر الآيات القرآنية. وهذا يدلّ على أنَّ الخطوة الأولى التى ينبغى الأخذ بها هى تفهُّم معاني آيات القرآن الكريم. والخطوة التالية هى السَّعى لتدبر الآيات القرآنية. فمن لم يكن لديه المعرفة باللَّغة العربية فعليه أن يسعى إلى فهمها، وبذلك يكون في وسعه القيام بتدبر القرآن المأمور به.

وقال الإمام ابن جرير الطبري: «وفي حثِّ الله عز وجل عبادَه على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبينات بقوله جلَّ ذكره لنبيِّه ﷺ: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا

(١) هذا الأثر رواه الإمام الطبري في (جامع البيان ١/ ٧٥).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (١/ ٧٥).

ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[ص]، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[الزُّمَر]، وما أشبه ذلك من آي القرآن، التى أمر الله عباده وحثّهم فيها على الاعتبار بأمثال آي القرآن، والاتِّعاظ بمواعظه= ما يدلَّ على أنَّ عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آيه؛ لأنَّه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به، ولا معرفة من القيل والبيان والكلام، إلَّا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه، ثمّ يتدبره ويعتبر به. فأما قبل ذلك، فمستحيل أمره بتدبره وهو بمعناه جاهل»[(١)].

وفي بعض اللقاءات مع الطلاب في بعض الجامعات الماليزية[(٢)]، قام الكاتب بطرح سؤال مفاده: «مَن منكم ختم القرآن الكريم تلاوةً، فليرفع يده؟». فكان الجواب مفرحًا بأنَّ الجميع أو الأكثر الغالب قد ختموا القرآن تلاوةً ولو مرّة واحدة. ثم قام الكاتب بطرح سؤال آخر وهو: «من منكم ختم ترجمةً للقرآن الكريم في اللغة التى يفهمها، فليرفع يده؟». فكان الجواب يحزن الفؤاد. ففى الكلية الجامعية للتكنولوجيا في المنطقة الشَّرقية، ما أجاب إلَّا طالبة واحدة رفعت يدها. وفي محاضرة في سكن أُنْكُوْ عمر في الجامعة الوطنية الماليزية، لم يرفع يده إلَّا طالبان اثنان أو ثلاثة. وفي مجموعة علم تخريج الحديث في الجامعة الوطنية الماليزية، طُرح السُّؤال نفسُه ولم يجب إلَّا طالب واحد فقط، أنَّه أتمَّ قراءة ترجمةً للقرآن الكريم.

وبهذا الاستبيان العشوائى، يمكننا القول بأن حالة الطلاب في الجامعات الحكومية الماليزية لم تزل متأخِّرة بخطوة عن الخطوة المطلوبة من حيثُ التَّدبُّر الشَّامل للقرآن الكريم. ولكن مع ذلك؛ فإنَّ الكاتب على يقين بأنَّ جهود الطلاب في الجامعات الماليزية من حيثُ الخوض في تدبُّر القرآن الكريم موجودٌ، ولو كان ضعيفًا.

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٨٢).

(٢) مؤتمر الوسطية في الكلية الجامعية للتكنولوجيا ولاية ترنجانو، في ٢٨ نوفمبر ٢٠١٣؛ وحوار الإسلام وتحديات اللبرالية في سكن أنكو عمر، الجامعة الوطنية الماليزية، في ٢٢ مارس ٢٠١٤؛ واستفسار عن القضية على مجموعة مادة علم تخريج الحديث، في ١٧ أكتوبر ٢٠١٩.

إن طرق التعامل مع القرآن الكريم بالنظر إلى عموم الأدلة، يمكن أن تقسم إلى ثلاثة مراحل، القبول والمعالجة والنتيجة. والمرحلة الأولى وهي القبول تشتمل على الإيمان واليقين. والمرحلة الثانية وهي المعالجة تشتمل على القراءة والحفظ والفهم والتدبر والتعلم والعمل وتقديمه على غيره والتذوق. والمرحلة الثالثة وهي النتيجة تشتمل على التعليم والتفسير والهداية والترغيب والترهيب والتذكير. والجدول الآتي يوضح ذلك:

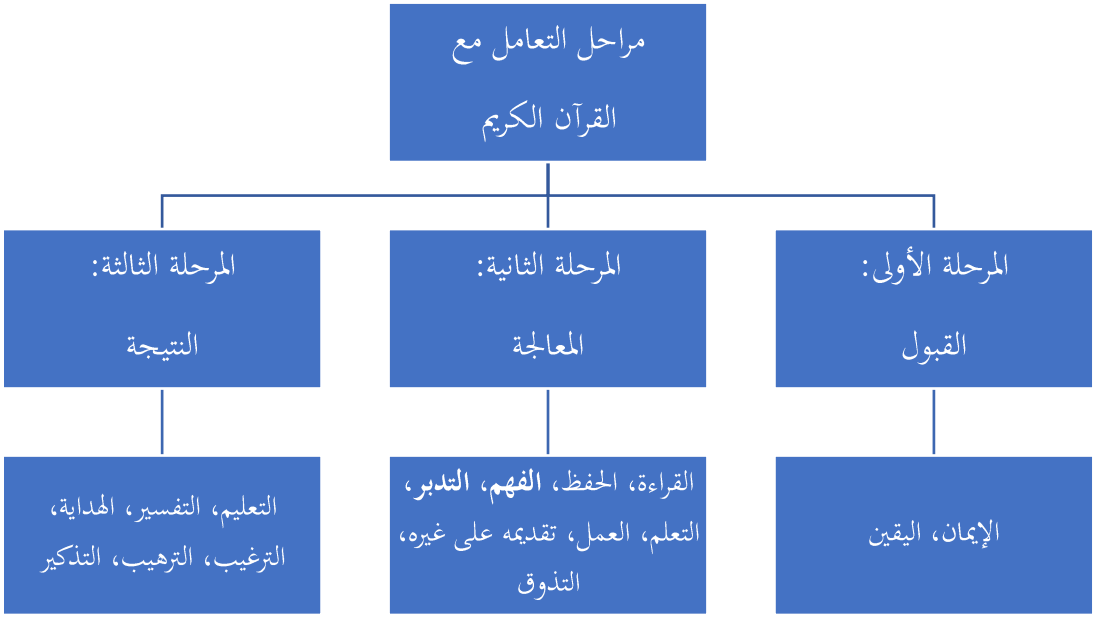

والأدلة على هذه المراحل الثلاثة كالآتي:

١ – أدلة المرحلة الأولى؛ القبول.

١/ ١ – الإيمان.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾[البقرة]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[الأحزاب].

٢/ ١- اليقين.

قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٩٤﴾[يونس].

٢- أدلة المرحلة الثانية؛ المعالجة.

٢/ ١- القراءة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩﴾[فاطر].

٢/ ٢- الحفظ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾[القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].

٢/ ٣- الفهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾[يوسف].

٢/ ٤- التَّدبُّر.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾[محمد].

٢/ ٥- التَّعلُّم.

قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾[النحل].

٢/ ٦- العمل/ التطبيق.

قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾[البقرة].

٢/ ٧- تقديمه على غيره.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾[الحُجُرات].

٨/ ٢- التذوق (الشعور بأن الآية نزلت فيه).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾[المائدة].

وكذلك الحديث: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَرَأْتُ (سُورَةَ النِّسَاءِ) حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾، قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ»، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ[1].

٣- أدلة المرحلة الثالثة؛ النتيجة.

١/ ٣- التعليم

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران].

٢/ ٣- البيان

قوله تعالى: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[النحل].

٣/ ٣- الهداية

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾[الإسراء].

٤/ ٣- التَّرغيب

قوله تعالى: ﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾[النمل].

٥/ ٣- التَّرهيب

---

(١) رواه البخاري (٥٠٥٠).

قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [الأعراف].

٦/ ٣- التذكير

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[العنكبوت].

وقد لخَّص الإمام النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ طرقَ التَّعامل مع القرآن الكريم بقوله: «الباب السَّابع في آداب النَّاس كلِّهم مع القرآن: ثبت في (صحيح مسلم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ): عن تميمٍ الدَّاريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قلنا: لمن؟ قال: «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِم**». قال العلماء رحمهم الله: النَّصيحة لكتاب الله تعالى هي: الإيمانُ بأنَّه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيءٌ من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله الخَلق بأسرهم، ثمّ تعظيمه وتلاوته حقَّ تلاوته، وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التِّلاوة، والذَّبّ عنه لتأويل المحرِّفين، وتعرُّض الطَّاغين والتَّصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهُّم علومه وأمثاله، والاعتناء بمواعظه، والتَّفكُّر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتَّسليم بمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه، والدُّعاء إليه»[1].

(١) التبيان في حملة القرآن (٩٧).

إنَّ تدبر القرآن شأنه عظيمٌ. يرتقي به المسلمُ من أحوال الدُّنيا الزَّائفة الفانية إلى التَّعرُّف على عظمة الله تعالى. والإنسان الذي يُمعن النَّظر كثيرًا في الآيات القرآنية يقدر على استخراج الفوائد والمعاني والهدايات التي تفيده في تحقيق العبودية وتحسين العمل.

ولا شكَّ أنَّ لتدبُّر القرآن فوائد كثيرة، ومنها: أنَّه يوصل بالعبد إلى معرفة الرَّبِّ سبحانه وتعالى، وما له من صفات الكمال، وما يُنزَّه عنه من صفات النَّقص[1].

ومَن تجمعت لديه هذه المعرفة فلا شكَّ أنه يرتقي بها من مرحلة عامل لله إلى مرحلة معظِّم له؛ يرى في كلِّ شيء له علاقة بالله أنَّه محلٌّ لتعظيمه فيه. فلا يكاد يمرُّ بشعار من شعائر الله إلَّا قام قلبُه بتعظيمه لكونه علم أنَّ تلك الشَّعائر لها علاقة بالله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[الحج].

ومن المستحسن أن يبحث الإنسانُ عن النَّموذج المثالي لتعامل السَّلف الصَّالح والعلماء الأجلاء مع القرآن الكريم. فإنَّ السَّلف الصَّالح قدوة لمن جاء بعدهم من هذه الأُمَّة الخيّرة.

فمن هذه النَّماذج المثالية التي ينبغي أن يقتدي بها المؤمن المعاصر ما يلي:

١- قال خبَّابٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تقرَّب إلى الله ما استطعتَ؛ فإنَّك لن تتقرَّب إليه بشيءٍ أحبَّ إليه من كلامه»[2].

٢- قال عثمان بن عفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو طَهُرَت قلوبُكم ما شبعتُم من كلام ربِّكم»[3].

٣- قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَن كان يحبُّ أن يعلم أنَّه يحبُّ الله؛ فليعرض نفسَه على القرآن، فإنَّ أحبَّ القرآن فهو يحبُّ الله، فإنَّما القرآن كلام الله»[4].

٤- وعنه، قال: «ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا النَّاس نائمون، بنهاره إذا النَّاس مُفطرون، بحزنه إذا النَّاس فرحون، وببكائه إذا النَّاس يضحكون، وبصمته إذا الناس

---

(١) **الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية** (١/ ٢٥٥).

(٢) تزكية النفوس (٤٢).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

يخلطون، وبخشوعه إذا النَّاس يختالون. وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا حليمًا حكيمًا سكِّيْتا. ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا ولا غافلًا ولا سخَّابًا ولا صياحًا ولا حديدًا»[١].

٥- عن عطاء بن السَّائب: أنَّ أبا عبد الرحمن قال: أخذنا القرآنَ عن قوم أخبرونا أنَّهم كانوا إذا تعلَّموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الآخر حتى يعلموا ما فيهنّ، فكنَّا نتعلَّم القرآن والعمل به، وسيرث القرآن بعدنا قومٌ يشربونه شربَ الماء، لا يجاوز تراقيهم[٢].

(١) أين نحن من أخلاق السَّلف (٥٦).

(٢) المصدر نفسه.

إنَّ التَّعلُّم الذَّاتي نومٌ من أنواع التَّعلُّم وكسب العلم. والتَّعلُّم عملية مستمرة مدى الحياة، لا يقتصر على أيام الدِّراسة في المدرسة أو الجامعة. لذلك؛ تُرَكِّز المقالة على خطوات التَّدبُّر التي تُعنى بالتَّعلُّم الذاتي. وهذه الخطوات يستفيد منها الطَّالب الجامعي كما يستفيد منها عامَّة الناس.

الخطوة الأولى: الإخلاص، وهو سِرُّ النَّجاح في التَّدبُّر والتَّفهُّم.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾[الكهف].

الخطوة الثَّانية: الاستعداد النَّفسي للتَّدبُّر.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت].

الخطوة الثَّالثة: الدُّعاء بأن يرزقه الله التَّدبُّر.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة].

الخطوة الرَّابعة: مراقبة الإنسان لنفسه، ومحاسبتها أثناء القِراءة.

قال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أحبَّ أن يعلم ما هو فليعرض نفسه على القرآن».

فعلى المرء أن ينظر في الأحوال الآتية ما يناسبه منها:

١- التلاوة بالنظر إلى المصحف أو بالحفظ.

٢- التلاوة في الصلاة أو خارج الصلاة.

٣- التلاوة جهرا أو سرا.

٤- التلاوة في المسجد أو خارجه.

الخطوة الخامسة: تعويد النَّفس على التَّأني في قراءة القرآن وعدم العجلة.

روى مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده: أنَّه سُئل زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كيف ترى في قراءة القرآن في سبع؟ قال: حسن، ولأن أقرأه في نصف شهر أو عشر أحب إلي، وسلني لم ذاك؟ قال: فإني أسألك؟ قال زيد: لكي أتدبره وأقف عليه[١].

الخطوة السَّادسة: اعتبار الفرد أنَّه المقصود (وليس غيره) بكلِّ خطاب في القرآن.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾[الأنعام].

الخطوة السَّابعة: ملازمة الورد القرآني.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾[النمل].

وأنواع الورد القرآني كالآتي:

١- وِرد التِّلاوة، يوميا ولو كان قليلًا.

٢- وِرد الحفظ والمراجعة.

٣- وِرد الاستماع، باختيار القارئ المناسب.

٤- وِرد الدِّراسة، بتعلم الآية المحفوظة من كتب التفاسير.

٥- وِرد المدارسة.

٦- ورد التدبر، بإمعان النظر والتفكر في الآيات من حيث المعنى والهداية[٢].

---

(١) رواه الإمام مالك (٤٨١)، وصحَّحه ابن عبد البر في (الاستذكار ٢/ ٤٦٣).

(٢) انظر: هذه الخطوات السَّبع في (تعليم تدبر القرآن الكريم أساليب عملية ومراحل منهجية: ١٦٧-١٨٠).

وممَّا ينبغي أن يُضاف إلى هذه الخطوات بالنِّسبة للنَّاطقين بغير اللغة العربية:

الخطوة الخاصّة الأولى: قراءة ترجمة آيات القرآن المعنوية الإجمالية.

ويفضل أن يختم هذه التَّرجمة كما يختم التَّلاوة القرآنية. وذلك للحصول على التَّصوُّر العامّ الشَّامل لما يحتوي عليه الآيات القرآنية. ومن فوائد هذه الختمة أن يتحصَّن الإنسان من الأفكار الهدَّامة بغرس الإيمان وفقًا للتَّوجيهات القرآنية.

الخطوة الخاصَّة الثانية: لإثراء المفردات، فعلى النَّاطقين بغير العربية أن يعتنوا بما يُسمَّى التَّرجمة الحرفية أو مفردات القرآن. فإنَّه كلَّما حفظ معنى كلمة واحدة، ينتقل إلى كلمة أخرى تليها. ويستمرّ المرء في هذا الدَّرب حتى يكمل صفحةً، ثمّ صفحة أخرى، حتى يجد نفسَه قد فهم الآيات القرآنية المتلوَّة كما يفهمها العربي من لغته.

الخطوة الخاصَّة الثَّالثة: الرُّجوع إلى أهل العلم إذا استشكل عليه شيءٌ من التّرجمة لآيات القرآن، سواء أكانت إجمالية أم حرفية. وذلك لكي يُزال عنه الإشكال الوارد لقِلَّة علمه بتفسير القرآن، بشرح وافٍ من أهل العلم بالقرآن والمتضلعين بعلم التَّفسير.

وممَّا مضى من ذكر التَّعرف على حالة الطُّلاب في الجامعات من حيثُ التَّعامل مع كتاب الله، وإيضاح طرق التَّعامل الصَّحيحة مع القرآن الكريم عمومًا، ثمّ أهمية التَّدبُّر ووظيفته في تحقيق تعظيم الله في النفوس، ورسم خطوات التَّدبُّر للنَّاطقين بغير اللُّغة العربية؛ كان بالإمكان استخلاص النتائج الآتية:

١- أنَّه يلزم المسلم أن يكون مصاحبًا للقرآن الكريم في حِلِّه وترحاله؛ لا يزال لسانه رطبًا من ذكر الله، وتلاوة القرآن من ذكر الله.

٢- أنَّه يلزم المسلم أن يحسِّن تعامله مع القرآن، خصوصًا في التَّدبُّر لمعانيه وهداياته. هذا يدلّ على مدى حبِّه لله وحبِّ الله له.

٣- أنَّه لا بدَّ من المجاهدة في اتِّخاذ الخُطُوات اللَّازمة في تدبُّر كتاب الله، لكي يثمر التَّدبُّر نتائجَه المرجوَّة.

وفي ذلك؛ يقول الشَّيخ جمال الدِّين القاسميُّ الدِّمشقيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالقرآن يراد للعمل به، وأمَّا مجرَّد حركة اللِّسان؛ فقليل الجدوى وتلاوة القرآن حقّ تلاوته هو أن يشترك فيه اللِّسان والعقل والقلب، فحظُّ اللِّسان تصحيح الحروف بالتَّرتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظَّ القلب الاتِّعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار، فاللِّسان يرتِّل والعقل يترجم، والقلب يتَّعظ»[1].

هذا؛ ونسأل الله تعالى أن يستعملنا في طاعته، وفي خدمة كتابه الكريم، وخدمة سنة نبيِّه الأمين، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (١٣٤).

المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم**

٢- الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان في تأويل القرآن**. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ.

٣- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. **تفسير القرآن العظيم**. دار طيبة. ١٤٢٠هـ.

٤- البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**. الرياض: دار السلام. ١٤١٩هـ.

٥- مالك بن أنس. **الموطأ**. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٤٢٤هـ.

٦- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين. **التبيان في آداب حملة القرآن**. دار الفكر.

٧- القاسمي، محمد جمال الدين. **موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين**. تحقيق: عاصم بهجة البيطار. بيروت: دار النفائي. ١٤٢٣هـ.

٨- الأهدل، هاشم بن علي. **تعليم تدبر القرآن الكريم أساليب عملية ومراحل منهجية**. الدمام: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع. ١٤٢٩هـ.

٩- أحمد فريد. **تزكية النفوس**. الإسكندرية: الدار العالمية للنشر والتوزيع. ١٤٢٣هـ.

١٠- طه عابدين طه حمد وياسين بن حافظ قاري وفخر الدين الزبير علي. **الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية**. مكتبة المتنبي. ١٤٣٨هـ.

١١- عبد العزيز بن ناصر الجليل وبهاء الدين بن فاتح عقيل. **أين نحن من أخلاق السلف**. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع. ١٤١٩هـ.